عنوان المحاضرة : النقد الجديد

النشأة والمفهوم:

تطلق عبارة "النقد الجديد" New criticismعلى حركة نقدية أنجلو أمريكية شهيرة سادت خلال النصف الأول من القرن العشرين، ويرى المهتمون بتاريخ النقد الجديد أنه يعود إلى إزراباوند ومقولاته أيام جماعة " نادي الشعراء" في لندن عام 1907، وأن أشهر ممارسيه المؤسسين توماس ستينز إليوتT.S.Eliottوإيفورار مسترونغ ريتشاردزI.M.Ritchardويضاف أحيانا إليهم فرانك ريموند ليفيز عن الجانب البريطاني، وعن الجانب الأمريكي كل من جون كرو رانسوم Jhon crowe Ransomوألن تيت Allen Tate وروبرت بين وارين Robert Pen Warren وكليانث بروكس Cleanth Brooksو ويليام كيرتز ومزات William K. Wimsatt....ومن الأسماء التي أطلقت على الأمريكيين الذين انتهجوا هذا النهج النقدي: النقاد الجنوبيون ، النقاد الريفيون، النقاد الهاربون ، على أن الاسم الذي استقر هو النقاد الجدد.

يذهب معظم الدارسين لهذه الحركة النقدية إلى أن تسمية النقد الجديد تعود إلى الناقد الأمريكي جون كرو رانسوم الذي وسم كتابه سنة1941 بالنقد الجديد ، وقد عُدَّ هذا الكتاب بمثابة الإعلان الرسمي عن تكوّن هذه الحركة النقدية الجديدة. وقد تناول رانسوم في هذا الكتاب أعمال بعض معاصريه من النقاد الأنجلو أمريكيين مثل: ريتشاردز، وامبسون، و ت.س إليوت، وآيفور ونترز، الذين دعوا إلى التركيز على النص الأدبي.

وإذا عدنا إلى ظروف نشأة هذه الحركة فإنه يمكن ملاحظة أن "معظم أقطاب النقد الجديد، في البداية، كانوا شعراء أو صحفيين أحرارا أو موظفين في مراكز تدريسية نائية، ومع نهاية الثلاثينيات ارتسمت حركة استراتيجية تبتغي الترسيخ الأكاديمي للنقد الجديد في شكل هجرة مهنية ؛ إذ انتقل رانسوم سنة1937إلى ولاية أوهايو حيث أسس مجلة كينيون إضافة إلى تأسيس ملتقى نقدي سنوي، وتحصل تيت عام 1939على زمالة بجامعة برينستون(...) وتعززت هذه الحركة سنة 1938 بصدور مختارات تدريسية جديدة بعنوان(فهم الشعر) لبروكس، و وارين، وضعت النقد الجديد في شكل مدرسي ينأى عن الدراسة التراجمية أو التذوقية البسيطة أو البحث عن المضمون. دون أن ننسى الدور الذي لعبه امبسون في انجلترا، وهو أحد أنجب طلبة ريتتشاردز في جامعة كومبردج، حيث طور بإيعاز منه منطق القراءة المفصلة في بحث تخرج حول تعدد المعنى في الشعر نشره عام 1930 بعنوان(سبعة أنماط من الغموض) محاولا من خلاله ابراز القيمة الأدبية للإبهام في الشعر. لتتوالى بعد ذلك الكتب التي تستهدف دارسي

الأدب مثل كتابي بروكس (بالتعاون مع وارين): فهم الشعر وفهم الرواية بين عامي 1939 و1941. كما صدر له عام 1939 كتاب : الشعر الحديث والتراث.

وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح النقد الجديد يطلق أيضا على حركة نقدية أخرى ظهرت في فرنسا خلال الستينيات من القرن الماضي ، وهذا ما يعني أن هناك تداخلا اصطلاحيا بين صيغتين من النقد الجديد ، الأولى أنجلو أمريكية والثانية فرنسية؛ بحيث تواتر مصطلح النقد الجديد، بغير دلالته الأنجلو أمريكية، ليكون عنوانا للمناهج النسقية الجديدة(بنيوية، سيميائية، موضوعاتية...) التي هيمنت على الساحة النقدية منذ سنوات الستينيات خصوصا. هذا التداخل الاصطلاحي ، دفع بعض الكتاب إلى تبني التسمية الانجليزية New criticism للدلالة على النقد الجديد الأنجلوأمريكي ، والتسمية الفرنسية La nouvelle critiqueللدلالة على النقد الجديد الفرنسي الذي سنتطرق إليه في محاضرة أخرى.

الأسس الفلسفية والطروحات النقدية:

يفترض النقد الجديد أن النص هو كيان منفصل يمكن فهمه من خلال أدوات وتقنيات القراءة المتأنية (Close Reading)، ويؤكد أن لكل نص نسيجاً فريداً من نوعه، ويؤكد أن ما يقوله النص وكيف يقوله لا يمكن فصلهما. وتتمثل مهمة الناقد الجديد في إظهار الطريقة التي يمكن للقارئ من خلالها أن يأخذ العناصر الكثيرة والمتنافرة ظاهريًا في النص ويوفق بينها أو يحلها في كل متناغم وموضوعي.
وباختصار، فإن الهدف هو توحيد النص أو بالأحرى التعرف على الوحدة المتأصلة فيه ولكنها محجوبة. إن وعي القارئ بعناصر شكل العمل وانتباهه إليها يعني أن النص سيخضع في نهاية المطاف للتدقيق التحليلي والضغط التأويلي الذي توفره القراءة القريبة. ببساطة، القراءة المتأنية هي السمة المميزة للنقد الجديد.

لا تنجلي المبادئ والأصول الجوهرية للنقد الجديد الأنجلو أمريكي، دون العودة إلى نظرية الخلق في الأدب والفن، هذه النظرية التي تجد جذورها في الفلسفة المثالية الذاتية لدى كانت. وأبرز الجذور المتصلة بأطروحة نظرية الخلق في فلسفة كانت فصله بين الجميل والمفيد، وهو فصل أفضى به إلى الاهتمام بخصائص العمل الفني في ذاته، وحسبان كل عمل فني وحدة جوهرية ذاتية ينحصر فيها جماله، وتنحصر فيها الغاية منه، من دون النظر إلى مضمونه أو علاقته بما هو خارج عنه.

وعليه، كان أحد أهم الملامح المميزة للنقد الجديد الأنجلو أمريكي اعتباره العمل الأدبي تحفة، ووحدة منسجمة، وتأكيده على التأويل المحايث للنص، وعزله النص عن كل ما هو خارجه. وقد أتى التأكيد على العمل الأدبي في ذاته، بوصفه تحفة لا وثيقة، وبوصفه قيمة جمالية لا وسيلة توصيل، وذلك عبر التفريق بين الاستعمال العلمي والعملي للغة وبين الاستعمال الانفعالي. إن السمة البارزة لهذه المدرسة هي التركيز المطلق على العمل الأدبي ، بعيدا عن الاعتبارات الأخرى، كحياة الشاعر وبيئته وخلفيته الاجتماعية، فالعمل الأدبي له قوانينه الخاصة به، ومن ثم فإن مهمة الناقد عند النقاد الجدد ليست في أن يكشف عما يعبر عنه العمل الفني بل أن يرى العمل في ذاته ولذاته، فلا يقيّمه بمقاييس خارجة عنه.

أهم المرتكزات والخصائص المنهجية:

يرتكز النقد الجديد في صيغته الأنجلو أمريكية على جملة من الخصائص المنهجية العامة ، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- الأدب فن والأصل فيه دراسة خصائصه الفنية والجمالية ، وهذا ما يقتضي دراسة النص بعيدا عن محيطه السياقي؛ فمن النص الانطلاق وإليه الوصول، دون اعتبار لمقاصد المؤلف أو وجدانية المتلقي، أو القارئ ، وقد صاغ في هذا الإطار ويليام ويمزات W.k.wimsatt ومونرو بياردسلي M.Beardsley المقولتين الذائعتين:

المغالطة القصدية عام 1946 و المغالطة التأثيرية(العاطفية) عام 1949 ، وتقضيان بأن البحث عن قصد المؤلف وهم لأنه غير موجود أو موجود بشكل محور ، وأن الخلط بين العمل وبين ما يحدثه من نتائج على نفسية المتلقي في ظروف معينة وهم –أيضا-لأنه دلالة انطباعية لا معول عليها، ومادام النقد الجديد نقدا يطمح إلى الموضوعية فإن من الواجب صيانته من هاتين المغالطتين.

-تبني المقاربة النقدية للأعمال الأدبية اعتمادا عليها في ذاتها وليس على ما هو خارجها،وذلك باتخاذ القراءة الفاحصة وسيلة تحليلية مركزية في الدراسة النصية، تتقصى معجم النص وتراكيبه اللغوية والبلاغية و رموزه وإشاراته وكل العناصر الجوهرية التي تضيء دلالاته وتفك مغاليقه، ويدل هذا المفهوم المركزي على فحص النصوص المفردة بعيدا عن بيئتها الثقافية والاجتماعية....

- لقد بذل النقاد الجدد جهدا كبيرا لبيان أن الأسلوب والموضوع شيء واحد لا يمكن فصلهما، وأن أهم ما يميز أي عمل فني هو وحدته العضوية، وقد كانت مقولة كلينث بروكس" إن الشكل هو معنى" مقولة مركزية إجمالا في الوجهة النظرية للحداثة في الفن والأدب، و قد صاغها ضمن مقال بعنوان النقاد الشكليون عرض فيه أبرز مبادئ النقد الجديد وجاءت مقولته تلك في صدارتها، بحيث ترتب عليها عدم إمكانية الفصل بين الشكل والمضمون في العمل الناجح. وضمن هذا المسعى ، كان الاهتمام الأساسي هو البحث عن الوحدة : هذا الكل الذي يشكله العمل الأدبي أو يفشل في تشكيله، والعلاقة بين الأجزاء المختلفة مع بعضها في بناء الكل. وقد ناهض بروكس – في ذات الإطار- ما أسماه هرطقة الشرح وبدعة التلخيص اللتين كانتا تناطان بمهمة الناقد تقليديا؛ لأن الشرح والتلخيص للقصيدة يقتضيان إمكانية أن ينفصل معناها عن شكلها.

-التأكيد على ضرورة أن يكون النقد أكثر علمية ودقة ومنهجية في تعامله مع العمل الأدبي ، ولهذا من الضروري نبذ التقويم المعياري والابتعاد عن إطلاق الأحكام المسبقة التي قد تؤثر سلبا على العملية التحليلية ، و لهذا فإنه ينبغي في النقد الأدبي الانطباعات الشخصية والمعرفة التاريخية واللغوية والدراسات الأخلاقية، وعلى نقاد الأدب أن يراعوا العمل الأدبي بوصفه موضوعا جماليا.

نقد النقد الجديد

- مما يؤخذ على النقد الجديد تجاهله للمعطى التاريخي والعوامل الخارجية، وعدم اهتمامه بالمؤلف والقارئ ، ثم إن رفض النقاد الجدد لمفهوم الأدب بصفته انعكاسا للحياة أو لعلم النفس أو لتاريخ الأدب يحوّل الأدب على نحو لا يمكن إنكاره إلى شيء مستقل ذاتيا . وهذا يجعل الأدب مجردا إلى حدّ الغرابة، معزولا عن الحياة الحقيقية المحسوسة لمؤلفه و جمهوره.

- مما يؤخذ عليه أيضا، تطبيق منهج تجريبي على حقيقة غير علمية (النص الإبداعي) ، وهو ما جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أن النقد الجديد نقد ميكانيكي يجد ما يطلبه في كل نص يختاره، فيختار دائما ما يتناسب مع أدواته ومقولاته(كتفضيل الشعراء الميتافيزقيين على غيرهم واقتصاره على القصيدة

الغنائية وفشله في التعامل مع النصوص الطويلة كالرواية والمسرحية)، ولا يشجع الدارس على البحث عن غير ما يجتره ممارسو هذا النقد.

- اتهم النقد الجديد أيضا بالنزعة النخبوية وبمجافاة الديمقراطية الأدبية، وذلك حين يعمل في دائرة شبه مغلقة على نفسها.

وقد أدت هذه الانتقادات وغيرها إلى أفول مدرسة النقد الجديد الأنجلو أمريكية مع بداية الستينيات، لتفسح الطريق أمام مدرسة شكلية جديدة ظهرت بفرنسا واشتركت معها في التسمية – كما أسلفنا أعلاه-.

النقد الجديد في النطاق العربي

يعود ظهور أولى ممارسات النقد الجديد في الوطن العربي إلى نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات ، حيث تبنى العديد من النقاد العرب المتأثرين بالثقافة الأنجلوساكسونية الطروحات النقدية للتيار الشكلاني الأنجلو أمريكي. وتجدر الإشارة إلى أن مصر هي الأكثر تمثيلا لهذا التيار ، ومن الأسماء النقدية التي ترد هنا: رشاد رشدي، محمد عناني ، سمير سرحان، زكي نجيب محمود، علي الراعي ، محمود الربيعي، يضاف إليهم جبرا إبراهيم جبرا الناقد والكاتب الفلسطيني. ومن بين الأسماء المشار إليها يبدو رشاد رشدي أبرز ممثل لهذا التوجه النقدي في هيئته الأكاديمية الممنهجة ،وهذا عبر كتبه المختلفة(ما هو النقد، مقالات في النقد الأدبي ، النقد والنقد الأدبي، فن القصة القصيرة...)، وكذا عبر المعارك النقدية الطويلة التي خاضها مع عدد من النقاد المصريين الذين خالفوه الاتجاه، نهم سلامة موسى و محمد مندور. وفي كلتا المعركتين كان رشدي يؤكد أن " وظيفة النقد أن يرى العمل الفني كما هو على حقيقته، لأن العمل الفني ليس تعبيرا عن المجتمع أو عن الكاتب أو عن التاريخ أو عن البيئة أو عن أي شيء آخر، بل هو خلق عالم موضوعي كائن بذاته... و مهما كانت الصلات الأولى بين هذا العالم الموضوعي وهو العمل الفني وبين العالم الخارجي، وهو تجربة الفنان، فإن هذه الصلات قد انقطعت بمجرد أن تمت عملية الخلق، إذ بتمام هذه العملية يصبح العمل الفني كائنا له كيانه المستقل..."، وقد شاركه في مبادئه النقدية بعض طلبته "الذين- وبتوجيه منه- اضطلعوا بتقديم النظرية النقدية الجديدة لدى النقاد الغربيين الجدد، عبر سلسلة كتيبات، حيث نشر محمد عناني النقد التحليلي عام1962، عن كلينث بروكس، ونشر سمير سرحان" النقد الموضوعي عن ماتيو أرنولد ، كم نشر عبد العزيز حمودة كتابه علم الجمال عن كروتشي، ونشر فايز اسكندر النقد النفسي عن ريتشاردز....

وضمن هذا الإطار يمكن الإشارة إلى ناقد آخر كان من أوائل الدارسين العرب في الجامعات الانجليزية، ذلك هو الناقد الفلسطيني جبرا إبراهيم جبرا ، الذي ذهب إلى إنجلترا في الأربعينيات ودرس في جامعة كامبردج مستفيدا بشكل خاص من دروس وكتابات الناقد الانجليزي الشهير ف .ر .ليفيز، حيث يقول واصفا هذه التجربة: " درست عليه (أي ليفيز) النقد ، وتتلمذت على مجلته النقدية (تمحيص)، وعن طريقه دخلت إلى ما كان في الأربعينيات حتى الستينيات يدعى بالنقد الجديد، أيام كنا نفضل كلمة الجديد عن الحديث لشعورنا منذ ذلك الحين بأن الحديث(الذي كانت بدايته الحقيقية في أواخر القرن الماضي) غدا مستهلكا وغير حديث".

والجدير بالتنويه أن ممارسي النقد الجديد من النقاد العرب ، قد وضعوا تسميات منهجية عدة لتوصيف تجربتهم النقدية ،كالنقد الجمالي عند روزا غريب، والنقد الموضوعي لدى سمير سرحان

ومحمود الربيعي، والنقد التحليلي لدى محمد عناني، والتحليل اللغوي الاستاطيقي لدى مصطفى ناصف....لكن تبقى تسمية المنهج الفني هي الأكثر تمثيلية لهذه التوجه النقدي العربي الجديد.

وبطبيعة الحال ،فإن الأسس والمبادئ العامة التي يرتكز عليها هذا التوجه النقدي العربي الجديد لا تختلف عن تلك المعتمدة عند نقاد الحركة الأنجلو أمريكية ، وقد اجتهد الباحث يوسف وغليسي في تلخيصها على النحو التالي:

- النظر إلى النص الأدبي على أنه ليس نسخة من الواقع، ولكنه معادل فني له، فهو كيان مستقل على حد تعبير مصطفى ناصف ينمو وفقا لمنطق داخلي أو علاقة صورة منعكسة في مرآة.

- النص كيان فني يقتضي دراسة لغوية فنية.

- دراسة النص الأدبي في ذاته مستقلا عن محيطه السياقي ، أي التركيز على أدبية الأدب، والانطلاق من النص بعيدا عن صاحبه والظروف المحيطة به، ذلك أن للنص الأدبي حياته وروحه العامة التي لا تأتي من الخارج...

- النظر إلى النص كصورة عضوية متكاملة، موحدة الشكل والمضمون ، فالشكل عند مصطفى ناصف " هو قوة المضمون و وحدته وتركيبه، وليس قالبه أو وعاءه الذي يحفظ فيه؛ لذا يدعو إلى وحدتها العضوية، نابذا فكرة تشبيه بعض الدارسين للشكل ب:"التكنيك الذي يتبعه اللص في سرقة المنزل، يستطيع هذا التكنيك أن ينتزع إعجابنا ويظل عمل اللص منكرا قبيحا".

- الدعوة إلى التحليل ونبذ التقييم وما ينجر عنه من إصدار لأحكام دون حيثيات، ودون مجرد الاستماع إلى عناصر القضية، ذلك أن التحليل موقف يتيح لنا رؤية الكثير واستيعاب الغريب برحابة أوسع ، أما التقييم فكثيرا ما يجعلنا ننظر من وجه و نهمل الآخر، نحب معيارا ونرفض آخر، بل كثيرا ما يرتبط بمعايير غير أدبية(...)

وفي الأخير يمكننا القول إن هذه الاجتهادات النقدية، كان لها تأثير بالغ في إحداث نقلة نوعية في الممارسة النقدية تنظيرا وتطبيقا، حيث كشفت مؤلفات هؤلاء النقاد وغيرهم، عن وجود مسعى علمي لتكوين معرفة داخلية عميقة بالنص الأدبي.

قائمة المراجع المعتمدة:

-إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص.

-بسام قطوس ، دليل النظرية النقدية المعاصرة

-سعد البازعي ،استقبال الآخر الغرب في النقد العربي الحديث

-صبري حافظ، أفق الخطاب النقدي

- صالح زياد ، آفاق النظرية الأدبية

-مج من الباحثين ، تحولات الخطاب النقدي

- ميجان الرويلي وسعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي

-يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي